عبث الوليد

ابو تمام حبيب الطائي وابو الطيب احمد بن الحسين المتنبي وابو عبادة البحتري هم الشعراء المعول على شعرهم في المولدين جمعوا الى جزالة الالفاظ وحسن السبك معاني الحضارة واساليب الحكمة ولذلك كانت دواوينهم من جملة ما ينبغي على طالب الادب ان يتدارسها و يستظهرها وكانت مما اوصى بحفله ضياء الدين بن الاثير صاحب المثل السائر كل مشتغل بالمنظوم والمنثور لما حوت تمام المزايا اللغوية والادبية . ومن اجل هذا ترى هذه الدواوين قد حدمت اجل خدمة منذ القديم ولا سيما ديوان ابي تمام وديوان ابي الطيب فنظر فيهما مشاهير القدمين والعلماء وتعاورتهما الاقلام بالشرح والنقد الا ان ديوان ابي عبادة البحتري لم نسمع بان احداً من العلماء تصدى لنقده غير ابي العلاء المعري .

فان هذا العلامة الحكيم اللغوي ابى ان يغفل كلام البحتري من وضعه على محك انتقاده بعد ان الف في ديواني الطائي والمتنبي كتابين مستقلين دعا الاول ذكرى حبيب والثاني معجز احمد . فالف في الثالث كتاباً سماه عبث الوليد (١) قال في مقدمته : اثبت ما في ديوان البحتري مما أصلحه من الغلط الذي وجد في النسخة المكتوب في آخرها انها خط طفر بن عبد الله العجلي والما اثبت ذلك ليكون مولاي الشيخ الجليل ادام الله عزه كأنه حاضر للقراءة ولم يمكن اثبات جميع الاغلاط لان اكثرها غير محيل وقد وُصل بذكر شيء مما جرى اليه ابو عبادة من الضرورات وما يجتنبه امثاله وبالله التوفيق .

قال ابو العلاء في الكلام على قول ابي عبادة :

اذا نشأت كالاخلاق واقتربت دنت مسافة بين العجم والعرب

اذا وقعت بين في هذا الموقع فالاختيار خفضها وكذلك ترفع اذا وقعت في موقع رفع كما جاء في الكتاب العزيز لقد تقطع بينكم . اكثر القراء على الرفع و يجوز النصب فقال قوم يكون الاسم مضمراً كأنه قال لقد تقطع الوصل بينكم وقال قوم بفعل ما كأنه

(١) ان النسخة التي اعتمد عليها هنا هي نسخة استنسخها احمد بك تيمور لخزانة كتبه عن نسخة دار الكتب المصرية

قال لقد تتبع ما يكره وحسن حذف ما هجنا كما حسن حذف لا اذا قيل والله افعل ايجاب والله لا افعل قال امرؤ القيس

كلانا يمين الله يحتمعا شيء والخوالفي حتفها

اي لم يجتمعا . وهذا البيت يشد مخفض بن وعبدا

يدير واني عن علاه واديرهم وجلدة بين العين والانف سالم

فاخفض الى الاصالة وانصب على التدبير ما

وقال المعري في مكان آخر وكان في النسخة هذه الابيات التي اولها

يا ألما صبري راكب يسير في مخضر لاحب

والابيات المشار منها مذكورة في المالي لغوم من العلماء المتقدمة ويجوز ان يكون غلط بها على في رواية نسبت اليه او نقلها بعض الناس من شعر العرب فاطلقها يحكى عنهم والبيت الثالث الذي في هذه النسخة لا يوجد في الحكاية المتقدمة وقد اختلف في الشيء من هذا الجنس وربما حمد بعض فنسب شعره الى المتقدمين ليكاد بذلك ينقص من قدره . وحكى بعض الكتاب انه رأى كتاباً قديماً قد كتب على ظهره انشدنا احمد بن يحيى ثعلب من الحاذر في زي الاعاريب . وذكر خمسة ابيات من اول هذه القصيدة وهذا كذب قبيح وافتراء بين . والما فعله مفرط الحسد قليل الخبرة بطرق الصواب غرضه ان يلبس على الجهال . وقد رويت ابيات ابي عبادة التي هي في صفة الذئب لبعض العرب ويجب ان يكون ذلك كذلك على ما تقدم في حديث الدابة التي لابي الطيب . وقد نسبوا الابيات التي في صفة الذئب الى عبد الله بن انيس صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو من بني الدئل واسد بن وبرة ولا ريب ان ذلك باطل والرواية التي يرويها اصحاب اللغة يعينون البيتين الاولين ويذكرونهما من قول جارية ثم يقول فاجابتها ابيها

الحصن ادنى لو تأتيه

على ان هذه الابيات بعيدة من نمط ابي عبادة وان كان الشاعر المفلق يجوز ان يأتي بكل فن من القول .

وقال المعري في الكلام على بيت البحتري الذي هو

والمدود الخاشع يهتز عليها خطار الربيع طلقا وورده

خطار من اطراف كلام العامة وليس هو اصلا موجودا في الكلام الفصيح ويجب

ان يكون الزاي بدلا من الجيم ثم كثر في كلام العامة حتى جعلوه كالاسم الواحد وأجروه مجرى الاسماء العربية غير المركبة . والشعراء المولدون يعربون الزاي فيقولون كأنه جلنار ورأيت جلنارا ومررت بجلنار وهكذا في جميع التصاريف ولو اضافوه وقالوا جل نار لكان القياس ولو اتبعوه لغة حضرموت لوجب ان يقال هذا جلنار ورأيت جلنار ومررت بجلنار فلا يصرفون وقد يأخذون به في هذا المنهاج حتى ادخلوا عليه الالف واللام فقالوا الجلنار والجلنارة الى آخره فقالوا جلنارة فأجروه مجرى قرنفلة وقال بعض المحدثين

خدت في الناس طا الحضر ... كما تاس الورد الجلنارا

ولا ادري هذا الشيء جاء في شعر قديم والذي نقله عدث وكأنه في الاصل جاء على معنى التشبيه شبهوا حمرته بحمرة النار ثم تصرفوا في ذلك وغيروه (١) وقالوا في تسمية الشعار الفارسي نرياج وذكروا ان نر بالفارسية رجل وفارس تحقق بالياء كأنها الف والالف كأنها ياء فيجوز ان يكون نار في جل نار من هذا النحو فكأنهم ارادوا جل الرجال ويجوز ان يكون جل باسمائهم في غير هذا المعنى على ان العوام احدثت الجرنة وصارت في احرف كثيرة من كلام العرب وهم يسمون الفارسية الخاصة الجرنة والذين اتكلموا بها اليوم قليل لغلبة اللغة سيئة لغلبة سير المتقدمين .

وقال في الكلام على بيت :

اسند صدور الجملات بوقفة ... في المقالات كأنين المسند

لشبه ما يجعل المسند هنا ان يكون في معنى خط جيد لان مذهب الشعراء في ذلك معروف وانه فضل ورجاحة كما قال ابو ذؤيب :

عرفت الديار كرقم الدوا ... ة يزبرها الكاتب الحميري

وكانوا يسمون خطوط المسند ومنوا هذا الخط العربي الحازم لانه جزء من ذلك الفن الذي قطع وقد يحتمل ان يعني بالمسند الحديث المسند الى هذه المنازل قد صار حديثا يذكر .

وقال في الكلام على بيت :

يغضون دون الاشياء جيوبهم ... وفوق المراط المعطفي المواضع

(١) كتبت على الحاشية هذه العبارة : هذا تطويل بغير طائل فانه معرب كلانار ومعناه بالفارسية زهر الرمان اه .

الاشتيام كلمة لم يذكرها المتقدمون من اهل اللغة فاذا سئل من ركب البحر عنها قال البحريون الذين يسكنون بحر الحجاز يسمون رئيس المركب الاشتيام فان كانت هذه الكلمة عربية فهي الافتعال من شام البرق لان رئيس المركب يكون عالماً بشؤون البروق والرياح ويعرف من ذلك مالا يعرفه سواه فكأنه سمي المصدر من الشام كما قيل رجل زور وهو مصدر زار وديف وهو مصدر دلف وفي البحر سمكة تعرف بالاشتيام وهي مذكرة ويجوز ان يكون سميت برئيس المركب كأنها رئيسة السمك واذا اخذ بهذا القول فهمزة الاشتيام همزة وصل وان قطعت فقد جرت عادة ابي عبادة بقطعها في المصادر كثيراً فهو ضرورة وان وصلها صار في البيت زحاف قد جرت عادته باستعمال مثله وان كانت الاشتيام كلمة اعجمية فالفه الف قطع كالف ابريسم وابريق ونحو ذلك . وقال في قوله :

ان لمع الشوق ازراه عليه قلقي خاف من النوم عن عيني ماحفا

قوله ازراه عليه ردي والمعروف ازريت به وزريت عليه وقد نبهوا على ان يريد قوله في رسالة الجمهرة الى الازراء على خلافنا وقد حكى بعض اهل اللغة ازريت عليه وليس بمعروف وانما الفصيح ازرى به كما قال الاعشى :

فان تعهدي لامريء لمة فان الحوادث ازرى بها

ومثل هذا ما صححه الجواليقي في قوله : اذا استقلته حرد الخيل اقال انها غير مستعملة وانما المعروف اذا استقلت به ويقولون استقل القوم اذا ساروا غير بعيد وانما اراد بقوله استقلته اقلته ولو قال اقلته لاستقام الوزن واصل ابي عبادة كذلك قال : كما انكر عليه لغة البرطيل الذي تستعمله العامة في معنى الرشوة وقال انه لا يعرف في الكلام القديم وكذلك وردت لفظة الاطروش في شعر البحتري فانكرها المعري وقال انه لا اصل لها في العربية وقال في :

احواله للرستمين بفارس وحدوده للتسعين بموكل

يروى للرستمين على الجمع وكذلك التسعين ويروى بالتثنية والجمع اشبه لانه قال احواله بجمع وكذلك قال جدوده فان تكون الاحوال والحدود كثيرة اشبه من ان تكون لملكين وموكل اسم موضع باليمن ويقال انها دار مملكة حمير وهو مفتوح الميم والكاف وكذلك نقل اهل اللغة وكان ابو عمرو الزاهد يقول المركل قبة الملك فان كان ذلك شيئاً قديماً سمعه فقد يجوز ان يكون حمل على ان هذا الموضع يقال له موكل وهو

مقر مملكة القوم والذي يتهم به ابو تمرو يشراح كثيرون على هذا النحو وكان قبة الملك تسمى موكلا لانه يقعد فيها ويكل اموره الى احد واحشم وفد هذه البلاد رجل من اهل نجران ممن يسكن البادية فصيح يحتج الى زيد من مدح فسمع فتى في الكتب بشد هذه القصيدة فلما انتهى الى قوله موكل كسر الكاف فقال انجراني موكل وكذلك حكاه اهل العلم.

وقال في كلامه على

وكنارى بعض البدى بعد مضه فلما اشجماه دفعنا الى الكل

كان المتقدمون من اهل العلم ينكرون ادخال الالف واللام على كل وبعض وروى الاصمعي انه قال كلاما معناه قرأت آداب ابن المقفع فلم ارفيها هذا الا في موضع واحد وهو قوله: العلم اكثر من ان يحاط بكله فخذوا البعض وكان ابو علي الفارسي يزعم ان سيبويه يجيز ادخال الالف واللام على كل لانه لفظ بذلك ولكنه يستدل عليه بغيره والقياس يوجب دخول الالف واللام على كل وبعض وقد انشد بعض الناس قول سحيم عبد بني الحسحاس.

رأيت الغنى والفقر كليهما الى الموت يأتي للكل معجلا

هذه نموذجات من كتاب عبث الوليد وقد وقع في ٩٤ ورقة وحوى فوائد لغوية وادبية قلما يعثر عليها في الكتب المتداولة وقد جاء في آخره تم الاملاء المعروف بعبث الوليد وهذه التسمة موقوفة بين امرين احدهما ان يراد عبث الوليد الذي هو البحتري والآخر ان يعني الوليد الذي هو الصبي وكون الرجل مسمى بالوليد يحتمل هذه التسمية.